ديانة الكالّا

للصيدليّ القانوني الاديب عبدالله افندي ميخائيل رعد

٣ مبادئ هذه الديانة (تابع)

قيل ان كيفية صلاة الشعوب وما يتلونهُ في تسابيحهم صورةٌ حية لمعتقداتهم . وهذه الصورة تُظهر باجلى بيان لستقامة عقائد شعب الكالّا . فصلاتهم عادةً تكون على هيئة تراتيل او بالحري نشائد تنبئ عن عواطفهم ومكنون افكارهم عن الوهيّة واكا . واليك ترجمة بعض من هذه النشائد :

صورة انشاد عشائر الشوا

نشيد اول	نشيد ثاني
يا واكا يا واكا يا الحي	يا واكا يا واكا يا سيدي
بك اقضي اياي وليالي	اذا هدمتَ البيت لا تطالب بارجاع بانيهِ
قبّة السماء زرقاء وعمقها تعي	اذا امتَ الانسان ما عليك ان تدفع دية دمهِ
تبقى منشورة بلا أطناب ولا حبال	كل شيء يوجد عندك فلا تخيب طالبيك
وتدوم واقفة بلا دعائم تحملها	ومهما اعطيتَ لن تنقص خيراتك
تسطع بلمعانها وتحمل النجوم وتضبط النجوم	لا تطلبوا يا بني اورومو الّا من واكا
هذا من قوة واكا فاعلموا يا بني اورومو	

وتسبح عشائر العروسي بمثل هذا النشيد :

يا واكا يا واكا يا ربي	فلا قدرة تشبه قدرتك ولا مُلك يقرب من ملكك
يا ابانا المالك في السماوات	
انت تعلم خفايا قلب الانسان واسرار الطبيعة	

وتنشد عشائر الإيتو مثل هذا الدور :

يا واكا يا سيدي .	انت الملك الذي لا شبيه لهُ
انت المولى الذي لا مولى يسوده	انت الذي تأمر باولادك الانسان ان يعلو
انت الغني الذي لا يحيق بهِ فقرٌ	البوم وينحطّ غدًا الخ
انت العليم الذي لم يتعلّم من احد	

فانظر يا رعاك الله الى هذه التسابيح البسيطة واحكم في معناها . وقل لي بحقك هل استطاع اجدادنا واسلافنا الأول من عهد نوح وبنيه ان ينطقوا بافصح من هذه المدائح ؟ . وهل تناقلت عنهم ذرياتهم الى الاحقاب البعيدة اكمل من هذه الاحقاب ؟ . وما اجملَ ما تدعو به عشيرةُ العروسي اللهَ قائلةً له « ابانا الذي في السماوات » واجمل من ذلك ايضاً ما تقول هي نفسها في نشيد آخر « يا ابانا أرسل لنا كلمتك » وهو قول يستحق ان يُكتب بماء الذهب . وها كه بلفظه في لغتهم « كاليكه نوأزكي يا اباايو »

وبعد ذكرنا لهذه تسبحات الكالا يجمل بنا ايضاً ان نأتي على ذكر بعض ما عندهم من الاقوال والامثال الحكمية لترى ايضاً اية مبادئ عندهم في معرفة الله قالوا :

١ً اذا لم يعطِ واكا القوت فلا يستطيع الانسان على تحصيله . (وهو قول يشبه ما جاء في المزمور الـ ١٢٦ : ان لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البنّاؤون)

٢ً سيطلب واكا حساباً من الهواء حتى عن القشة التي ذرّاها . ومن الخاطئ حتى عن اصغر ذنب اتاه

٣ً لا تقل : ان واكا لا يراني ويمكني ان اعمل الشر . لان واكا يحاسبك على عملك

٤ً عُدْ عن آثامك . فالخفية وان كانت ليلاً بالنسبة لاعين البشر الّا انها نهار بالنسبة لعين واكا

٥ً كثيراً ما يدع واكا الصالحين في الفقر ويعطي الغنى للاشرار ولكنهُ يعمل ذلك ليعدّهم لحياة عتيدة

٦ً اذا احب واكا احدًا افقده بالاوجاع ليعلّمه ان لايكون شريرًا

٧ً جاء عدوّ قاسٍ واختطف رضيعاً من على ذراعي امه الباكية وذبحه (١ . انتَ يا واكا الذي سمحتَ بان يُقترف هذا الاثم . ولكن لماذا رضيت بذلك ؟ نحن لا نعلم بل انت وحدك تعلم

٨ً نضج الزرع وقرب يوم الحصاد فارسلتَ على الحقول جرادًا اكلت المواسم ولم يبقَ

---

(١) هم الامحريون الذين كانوا يأتون مثل هذه الغارة البربريّة في غزواتهم على قبائل الكالا وسواها من العبيد المصاقبهم

حبوب والناس تبكي . انت يا واكا الذي رضيت بذلك . ولماذا ؟ نحن لا نعلم بل انت وحدك تعلم

٩ يا واكا انت الذي خلقت الناس والبهائم التي تعيش على الارض . انت الذي خلقت لنا الزرع لقوتنا . نعم انت خلقت الحبوب لا نحن . انت تعطينا القوة للشغل والبقر للحراثة فنزرع ونحصد ما اعطيتنا

١٠ اذا قدم لنا الناس غرباء يجب ان نتعرف بهم لكن انت يا واكا تعرف كل الناس سلفاً من دون ان يتقدموا لك وليست معرفتك بهم لانك رأيتهم بل لانك خلقتهم

لعمري هذه شواهد قوية على ايمان الكالا بالله تعالى وبعزته وبقوته وعلى انهم يقرون بان الشر والاثم انما يقترفان برضى الله تعالى وسماحه وهي نقطة طالما تعقد فهمها على فلاسفة زماننا ويصعب عليهم حل مشكلها . افلا تقضي بالعجب اذا رأينا الامم الهمجية تعتقد بها بكل سذاجة وطوعية ؟ نعم اننا لا نستطيع ان نرد عنا الدهشة اذا فكرنا كيف ان حكماً صالحة ومبادئ قويمة كهذه توجد عند امم همجية متوحشة . لا بل عندي ان سهم الهمجية والتوحش الذي نرشق به هذه الامم الساذجة التي تعيش كما عاش اجدادنا الأولون المطوبون يجب ان نرده بحق واجب (لو رمنا العدل) الى قلب فئة من الناس يدعون اليوم منتهى التمدن وهم ينكرون وجود الله عز وجل ركل يعلم ان جرثومة التمدن واصله معرفة الله تعالى والسلوك على وصاياه ونهاياه

*

ما خلا السجود لله فان ديانة الكالا تعلمهم بوجود ارواح صالحة طوباوية يدعون بعضها « أيانا » وهم الملائكة وبعضها « اولياً » والكلمة عربية الاصل (١ (ولي .

---

١) استعمال بعض الكلمات العربية الاصل عند قبائل الكالا آتٍ من دخول بعض افراد العرب الى بلادهم وهؤلاء كانوا يأتونهم ببعض الاصناف كالخرز والاسلحة والاقمشة ويستعيضون عنها بالعبان ايام كان الاتجار بالرقيق مسموحاً . اما اليوم فقد امتنعت هذه التجارة رسمياً في الحبشة الا انها لم تزل باقية في الخفية لان الملوك والامراء اذا كانوا راضين من رعاياهم انعموا عليهم ببعيد من الجنسين وهؤلاء الرعايا مسموح لهم ان يتهادوا ما أنعم عليهم من الارقاء غير ان بيعهم محظور عليهم ولو انهم يجرونهُ بالسر تحت جهة الهدية . اما ملوك الحبشة وامراؤها انفسهم فانهم لم يفتأوا الى اليوم يتخذون لخدمتهم كبيد من يتشمونهُ في غزواتهم على القبائل المجاورة لبلادهم . ومن هذه القبائل ينعمون على رعاياهم

اولياء) وهم القديسون. وبوجود ارواح شريرة هي الابالسة وقد اتخذوا اسمها من العربية ايضاً فقالوا «جنّي»

اما عن اعتقادهم بالآخرة فالاورومو يستحقون المديح الذي مدح به القديس اوغسطينوس شعوباً كثيرة من جملتها الغوال (Gaulois). لا بل ان الكالا يفوقون هولاء سداداً رأي في هذا المعتقد لانهم يؤمنون بثلاثة اماكن معدّة لكنى النفس المتوفين

(اولاً) الجنة. ويدعونها «اياألا واكا» اي نعيم الله. او «يأناتشا واكا» اي مكان راحة الله. وهم يقولون عن هذا الفردوس انهُ معدّ لاقتبال الصالحين الذين يتمتعون فيهِ بالسرور الابدي برفقة واكا واوليائه

(ثانياً) صقر. ويدعونها «إيبيدا أدجابا» اي نار العذاب. وهم يصرّحون ان اليها تذهب نفوس الاشرار حيث تتألم برفقة الابالسة. ولكنهم يقولون أن قلّ من الاورومو من يذهب اليها. والائمة الذين يستوجبون هذا المكان هم عندهم: «الذين في حياتهم لم يعبدوا واكا. ولا كرّموا اولياءه. ولم يزكّوا عيلهم وسنهم للمحتاجين. ولم يكسوا العراة ثوباً. وقتلوا. وغرّوا بين القريب. وظلموا. واستحلّوا تعب الفقير. وسبّبوا بكاء المساكين هؤلاء يصيرون الى نار العذاب». اما عن كيف يفهمون نعيم الابرار وجحيم الاشرار فمعتقدهم به يطابق لمعتقد الكنيسة الجامعة حتى ان المبشرين من آباء الرسالة الكاثوليكيّة لا يرون بأساً من اتخاذ نفس الفاظهم وعباراتهم عند ما يشرحون لهم التعليم المسيحي

(ثالثاً) المطهر. ويدعونهُ «كولقا» لكنهم يجعلونهُ تياً تنقيه فيهِ نفوس من لم يكونوا اشراراً حتى يستوجبوا نار العذاب ولا ابراراً حتى يؤهّلوا لنعيم واكا. بدليل ما قالوا: «ان الذين لم يكونوا فضلاء كفاية في حياتهم حتى انهم لم يحفظوا تماماً شريعة واكا. والذين كانت طبائعهم فظّة وشديدي الغضب. هؤلاء يحكم عليهم واكا ان يقيموا بعيداً عنه الى ان يتعلّموا ان يحبوه ويكونوا قد كفّروا عن نقائصهم فحينئذٍ يقبلهم لن يدخلوا الى مكان اوليائه». ولهم بهذا المطهر ايضاً خرافات واعتقادات باطلة: منها انهم يجعلون التائهين في الكولقا نفوساً قائمات عن بُعد بخدمة الابرار يحملنَ منهم وحياً الى البشر الذين على الارض ويُساعدنَ في تقديم الضحايا ويخبرنَ الاولياء بما شرّفهم البشر

على الارض . ومنها ان هذه النفوس التائهة تحوم بنوع اخص حول البيوت والمضارب وتحمل الامراض من رجل لآخر . ويسكن بعضها الاحراش وبطون الادغال ومجاري المياه وشقوق الصخور . ولهم في ذلك خرافة اكبر ايضاً وهي ان هذه النفوس انما هي اناث لا ذكور وان حُكم على نفس ذكر بهذا التيه صارت هذه النفس انثى في تيهها ثم عادت ذكراً عند ولوجها الى الجنة

*

قلنا قيل هذا ان الاورومو يعتبرون أنْ قلَّ من يصير منهم الى النار العتيدة وذلك لان لهم ثقة عظيمة لا بل طمعاً بواكا فيقولون: « ان واكا الكرم بالذات وهو يحبّ كثيراً بني اورومو فكيف يزجّهم في مكان هذا العذاب وهم اولادٌ لهُ امناء ؟ » ولكنَّ هذا الطمع الاعمى يحدو بهم لسوء الحظ الى التراخي في ارتكاب المعاصي معتمدين على ان واكا لا يهلكهم مع انهم يقرّون مبدئياً بهلاك الاثيم . واذا رأوا الموت امامهم لا يخزهم ضميرهم على معاصيهم ولا يذكّرهم بيوم الحساب بل ينظرون الى الميت بعين عدم الاكتراث ويقولون : « من مات فقد قضى زمن حياته ويذهب الى بيته الابدي حيث يدخل نعيم واكا ». وبهذه الذكرى يمسحون دموعهم . واليك حكاية يقصها قبائل هؤلاء الامم ليذكّروا انفسهم من حكم الديّان العادل وهي بالحقيقة حكاية مضحكة . قالوا:

« ان العرب والروم والافرنجيين لهم كتب اعطاهم اياها واكا ولكن الاورومو ليس لهم كتاب . حكى آباؤنا ان واكا لما وزّع هذه الكتب اعطى ايضاً لبني اورومو كتاباً كان مدوناً فيه كل ما تتناقلهُ اليوم بالتقليد عن اجدادنا ولكن قامت بقرة واكلتهُ لنا فاغتاظ حينئذٍ واكا ولم يرد ان يعطينا غيرهُ واضطررنا بحكم الضرورة ان نفتّش عليه ببطون الابقار حتى نجده . لذلك اذا اقترف احدنا الشر فانما يسألهُ عن جهل واذا مات هذا الاثيم الجاهل تصعد نفسه الى السماء وتقف عند المدخل . فيسأل واكا اولياءه: مَن بالباب ؟ — فيجيبونهُ : هو اورومو — فيقول حينئذٍ واكا : ان كان هذا اورومو فهو من صنف الجهلة وقد عاش حياتهُ كبقر لا يعرف الخير من الشر فكيف نعاقبهُ على اثمٍ ؟ فاطلبوا لهُ مكاناً في احدى زوايا الجنة »

واذ كان احد المرسلين ذات يوم يبشّر جماعةً من هؤلاء القوم العبيد وكان بيده

كتاب التعليم المسيحي مطبوعاً بلغتهم باحرف افرنجية قال لهم من باب التفكهة : « تقولون ان واكا اعطى في البدء آباءكم كتاباً فقدوه فاني قد وجدته لكم وها هوذا ». ثم اخذ يقرأ لهم في الكتاب الذي بيده وصايا الله فلما رأى ذلك الكالا دهشوا من سماعهم لغتهم تُقرأ في كتاب وعهدهم ان الكتاب الوحيد المكتوب بهذه اللغة انما هو كتابهم المفقود . واذ اصغوا الى ما كان يقرأه البشير طاروا فرحاً لسماعهم كلاماً يعرفون انه شريعة واكا واسرعوا يخبرون بني جلدتهم بان الرجل الابيض الذي جاء العشيرة (وهو الكاهن البشير) وجد كتاب الكالا المفقود مؤكدين لهم انه قرأ لهم في هذا الكتاب نص العقائد التي علمها آباؤهم . وهكذا شاع في تلك العشيرة خبر قيامة الكتاب الذي ابتلعته البقرة في سالف الزمان

فما احرى وما احق ان يقال عن هذه الأمة ما قيل عن الغوال انهم حافظوا بامانة على تعاليم اجدادهم . وبينما نرى الشعوب في الازمنة السالفة قد انغمسوا بالرذائل فاتخذوا شهواتهم كآلهة عبدوها فسجدوا لإلهة العشق واله الخمر ونحوها وقدموا لها الضحايا وأحرقوا البخور على هياكلها . نرى شعب الكالا قد حافظ على الامانة التي ورثوها عن اجدادهم الاولين ولم يجرفهم ذاك التيار العظيم الذي انهمل على بقية الشعوب الأول ألا وهو عبادة الاصنام والسجود لكثرة الآلهة (له تابع)

الحميراء في بيروت

نظر للدكتور حبيب افندي الدرعوني

قد انتشر منذ بضعة اسابيع في بيروت داء الحميراء فرأينا ان نتهز هذه الفرصة فنكتبَ فيه فصلاً لقرّاء المشرق ليحيطوا بهِ علماً ويتّقوا اضراره . ويزيدنا رغبةً في الكتابة عن هذا الداء ظواهرهُ غير المألوفة التي لحظناها في الوافدة الحالية

﴿ اسم الداء ﴾ للحميراء اسماء عديدة تختلف حسب اختلاف البلاد ففي ضواحي لبنان يسمّونها دشيشة . ومنهم من يفضّل تسميتها بالحصبة وهو اسمها الشائع عند العرب وقد ورد اسمها في المعاجم العربيّة بلفظ « الشَّرَى » وهو غلط لان